

تفسير ابن كثير

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ^ج أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^ج

قال ابن عباس : كانوا يكرهون أن يستقبلوا السماء بفروجهم ، وحال وقاعهم ، فأنزل الله

هذه الآية . رواه البخاري من حديث ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر ؛ أن ابن

عباس قرأ : " ألا إنهم ثنوني صدورهم " ، فقلت : يا أبا عباس ، ما ثنوني صدورهم ؟ قال

: الرجل كان يجمع امرأته فيستحي - أو : يتخلى فيستحي فنزلت : " ألا إنهم ثنوني

صدورهم " . وفي لفظ آخر له : قال ابن عباس : أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا ، فيفضوا

إلى السماء ، وأن يجمعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء ، فنزل ذلك فيهم . ثم قال : حدثنا

الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : قرأ ابن عباس " ألا إنهم ثنوني صدورهم

ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم " . قال البخاري : وقال غيره ، عن ابن عباس : (

يستغشون) يغطون رؤوسهم . وقال ابن عباس في رواية أخرى في تفسير هذه الآية : يعني

به الشك في الله ، وعمل السيئات ، وكذا روي عن مجاهد ، والحسن ، وغيرهم : أي

أنهم كانوا يشنون صدورهم إذا قالوا شيئاً أو عملوه ، يظنون أنهم يستخفون من الله بذلك ، فأعلمهم الله تعالى أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل ، (يعلم ما يسرون) من القول : (وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور) أي : يعلم ما تكن صدورهم من النيات والضمائر والسرائر . وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة : فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، فمهما يكتن الله يعلم يؤخر فيوضع في كتاب فيدخل يوم حساب ، أو يعجل فينقم فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات ، وبالمعاد وبالجزاء ، وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة . وقال عبد الله بن شداد : كان أحدهم إذا مر برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثنى صدره ، وغطى رأسه فأنزل الله ذلك . وعود الضمير على الله أولى ؛ لقوله : (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) . وقرأ ابن عباس : " ألا إنهم تشنوني صدورهم " ، برفع الصدور على الفاعلية ، وهو قريب المعنى .